

خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

بتاريخ ٢٠٢٦/١٠/٩

في المسجد المبارك بإسلام آباد في بريطانيا

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * مَالِكُ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

يقول مرزا بشير أحمد رحمته الله: حدثني الدكتور مير محمد إسماعيل المحترم ضمن بيان وقائع توكل سيدنا المسيح الموعود عليه السلام: كان أسلوب المسيح الموعود عليه السلام في العلاج ألا يقتصر على نوع واحد منه؛ بل كان في المرض الواحد يصف الدواء الكيماوي والدواء من الطب اليوناني، في الوقت نفسه. وإذا قال شخص ما فيه الفائدة عمل به، وإذا رأى أحد شيئًا في المنام عمل به أيضًا. (في بعض الأحيان يرى الصالحاء وصفات طبية في الرؤى أيضا) فكان المسيح الموعود عليه السلام يستمر في الدعاء أيضا إلى جانب العلاج، ويستشير الأطباء والحكماء في آن واحد، ويستعين في العلاج بكتب الطب. باختصار، كان يجعل العلاج مَرِجًا عَجَبًا، ولكن كان اعتماده الحقيقي والتأم هو على الله تعالى.

يقول بعض الناس إنهم يصابون بالقلق، ولكن مَنْ يصاب به، ولماذا؟ وهل هذه عقوبة؟ وما السبب وراءه؟ فيقول المسيح الموعود عليه السلام مبينًا الفرق بين قلق الأنبياء وقلق عامة الناس: "صحيح أن الإنسان يقلق بمقتضى البشرية. والأنبياء أيضا يشاركون في ذلك. قد أصاب النبي صلى الله عليه وسلم أيضا اضطراب في معركة بدر، لكن الفرق بين العامة والأنبياء هو أن اضطراب الأنبياء لا يشوبه يأس أبدًا مثل اضطراب عامة الناس، بل يكون الأنبياء واثقين جدًا بأن الله تعالى لن يضيعهم أبدًا. أما أنا فلو أُلقي بي في النار المضطربة فأؤمن بأني لن أضيع. صحيح أنني سأقلق على أنها نار ولكن أُملي سيبقى قويًا بأني سوف أسمع حالا نداء ﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ بينما يتسم قلق الآخرين بيأس".

أقول: إن الذين لا إيمان لهم ييأسون ولا يتوقعون الخير من الله تعالى، وهذا كفر. وهذه الحالة هي الكفر بعينه. لذلك، كما أن التوكل على الله تعالى في أوقات القلق والاضطراب من خصائص الأنبياء، ينبغي للمؤمن أيضًا - اقتداءً بالأنبياء ولا سيما بسنة النبي صلى الله عليه وسلم - أن يتوكل على الله دائما ولا يسمح

لليأس أن يقترب منه. بل ينبغي أن يكون التوكل على الله تعالى قائماً حتى في أوقات القلق والاضطراب، مع الأخذ بالأسباب، والإكثار من الدعاء، ثم يجب التوكل على الله تعالى. وقد وجه المسيح الموعود عليه السلام المؤمنين أيضاً إلى هذه النصيحة، وهي أن من واجب المؤمن أن يظل متوكلاً على الله تعالى، وألا ييأس أبداً.

يقول سيدنا المصلح الموعود عليه السلام: إن عشرات الأشخاص من بيننا شهدوا عياناً على أنه عندما كان الخليفة الأول يؤلف كتابه "نور الدين" كتب فيه أن المقصود بذكر إلقاء إبراهيم عليه السلام في النار هو نار الحرب. فقد رأى أن البقاء على قيد الحياة بعد الوقوع في النار أمر بالغ الصعوبة، ولذلك فسّر النار بأنها نار الحرب. وفي تلك الأيام، كان المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام يذهب للتنزه في قرية تُسمى بسرمة (التي تقع بالقرب من قاديان) يتابع المصلح الموعود عليه السلام: أتذكر أنني أيضاً كنت برفقته عليه السلام. وفي أثناء التنزه، قال أحد: لقد بيّن حضرة المولوي (أي الخليفة الأول مولانا نور الدين عليه السلام) نكتة لطيفة للغاية.

إن الذين يميلون عموماً إلى التفسيرات العقلية يستحسنون مثل هذه الأقوال كثيراً. ولكن المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام ظلّ معظم فترة التنزه يدحض هذا التفسير، وقال: "أبلغوا المولوي المحترم عني أن يحذف هذه العبارة. فقد أوحى إلي أن النار خادمة لنا، بل هي خادمة خدامنا. فإذا كان الله تعالى قد عامل إبراهيم عليه السلام بهذه الطريقة، فما العجب في ذلك؟".

ثم قال عليه السلام: "هل الطاعون أخفّ من النار؟ وانظروا، أليس من المعجزات العظيمة أن الطاعون اجتاح المناطق من جميع الجهات، ومع ذلك حفظ الله تعالى منها بيتنا؟ فإذا كان الله تعالى قد أنقذ إبراهيم عليه السلام من النار، فما وجه الاستبعاد في ذلك؟ أبلغوا المولوي المحترم مني أن يحذف هذه العبارة". فحذف سيدنا نور الدين عليه السلام تلك العبارة بالفعل.

ما أعظم توكله عليه السلام. عندما أخبره الله تعالى بأنه سيحفظه من النار، لم يعد لديه أي مجال لعدم التوكل على الله أو عدم اليقين الكامل به. فقال عليه السلام بكل يقين وثقة: "أقول: إن النار لن تحرقني لأن الله تعالى قد أخبرني بذلك".

يقول مرزا بشير أحمد عليه السلام: أخبرني مُنْشِي ظفر أحمد الكپُورْ تَهْلُوي خطياً وقال: في إحدى المرات بمناسبة الجلسة السنوية، نَفَدَت المبالغ المخصّصة للنفقات. وفي تلك الأيام، لم تكن تُجْمَع التبرّعات للجلسة السنوية عادة، بل كان سيدنا المسيح الموعود عليه السلام يُنْفِقُ عليها من ماله الخاص. فجاءه المرحوم مير ناصر نواب وقال: ليس لدينا طعام للضيوف ليلاً. فقال له المسيح الموعود عليه السلام: "خُذْ بعض الخُلِيّ من زوجتي بما فيه الكفاية وبعه". وبالفعل، قام مير المحترم بشرائها أو رهنها وجَلَبَ المَالَ وأطعم الضيوف.

وبعد يومين، عاد مير ناصر نواب مجددًا في الليل بحضوري وقال: لا يوجد شيء للغدا! فقال عليه السلام: "لقد قمنا بالتدبير والأخذ بالأسباب الظاهرية مرّةً، أمّا الآن فلا حاجة لنا بذلك؛ إنهم ضيوفُ الله تعالى وهو سيتولّى أمرهم بنفسه."!

وفي اليوم التالي، في حدود الساعة الثامنة أو التاسعة صباحًا، عندما جاء ساعي البريد، دعاني سيدنا المسيح الموعود عليه السلام ودعا السيد مير أيضًا. وكان في يد ساعي البريد نحو ١٠ إلى ١٥ حوالة مالية جاءت من أماكن مختلفة، تتراوح مبالغها بين ٥٠ و ١٠٠ روبية، وكان مكتوبًا عليها: "نعتذرُ عن عدم تمكُّننا من الحضور، ونرسلُ هذه المبالغ لنفقاتِ الضيوف". فتسلّمها عليه السلام ثم ألقى كلمةً في (التوكّل على الله) - كان هناك بضعة أشخاص آخرين حاضرين في مجلسه - فقال عليه السلام: "كما يثقُ رجلٌ مادي بالأموال والمبالغ المودعة في صندوقه ويوقنُ أنه يستطيع سحبها متى شاء، فإنّ الذين يتوكّلون على الله تعالى يكونُ لديهم يقينٌ أعظمُ منه. وهذا ما يحدث بالضبط، فحينما تدعو الحاجةُ يرسل الله تعالى المبالغ فوراً".

كيف كان توكل المسيح الموعود عليه السلام وكيف كان الله تعالى يعامله؟ فقد ذكر ذلك خادمه السيد الحافظ حامد علي رضي الله عنه وقال: كان ميان نجم الدين البهيري رضي الله عنه هو المُشرف على إدارة دار الضيافة. وفي إحدى المرات، جاء إلى المسيح الموعود عليه السلام وقال: أرجو أن تعطوني بعضَ المالِ لِشِراءِ الدَّقِيقِ وما شابهه من مستلزمات دار الضيافة.

فأجابه عليه السلام: "لَيْسَ لَدَيَّ أَيُّ مَالٍ فِي الْوَقْتِ الرَّاهِنِ، وَاللَّهِ الَّذِي هُمْ ضُيُوفُهُ وَالَّذِي أُسِّسَتْ دَارُ الضِّيَافَةِ بِأَمْرِهِ سَيَتَوَلَّى الْأَمْرَ بِنَفْسِهِ". فعاد ميان نجم الدين.

بعد قليلٍ حضرَ رجلٌ يرتدي ثيابًا باليةً رثّةً إلى حضرته، فأعلَمَ بالأمرِ داخلَ البيت، فأخرج الرجل من حزمة الثيابِ المربوطة صرّةً من الروبيات فسلمها إلى حضرته وانصرف. فلمّا فتَحَ حضرته تلك الصرّة وجدَ فيها مالًا كثيرًا. فعادَ حضرته من البيت وحاولَ استدعاءَ ذلك الرجلِ والبحثَ عنه، إلّا أنه لم يُعثر عليه. فاستدعى حضرته ميان نجم الدين وأعطاه تلك الروبيات كلّها.

يقول حضرة الخليفة الأول إنّ سيدنا كان يقول: "هناك من يفرحُ بأنّه كثير المال، وهناك من يفرحُ بأنّه كثير العيال، وهناك من يفرحُ بأنّ جماعته كبيرة، أمّا أنا فافرحُ بأنّ إلهي هو القادرُ المطلق".

ويقول المسيح الموعود عليه السلام: "الرزاق الحقيقي هو الله تعالى. والذي يتوكّل عليه لا يُحرَم من الرزق أبداً. والله يرزق عبده المتوكّل بكل طريقة حيثما كان. يقول الله تعالى بأن الذي يتوكّل عليه يُمطر عليه الرزق من السماء ويُخرجه له من تحت قدميه، فعلى كل إنسان أن يتوكّل على الله".

يقول شيخ يعقوب علي العرفاني: قال لي حضرة مرزا بشير الدين محمود أحمد سلّمه الله: روى لي حضرة الإمام الهمام عليه السلام يومَ الخامس من سبتمبر ١٨٩٨ بعد صلاة العصر، بناءً على طلبي (أي طلب حضرة مرزا بشير الدين محمود أحمد، وكان طفلًا آنذاك) حكايةً يستفاد منها أنّ التوكّل على الله تعالى والتقوى

الصادقة يجعلان الإنسان أهلاً ليصبح الله تعالى كفيلاً، ويؤمن له كل حاجاته بطريقة لا يعلم بها أحد. فقد روى حضرته الحكاية بهذا المعنى فقال: "إن رجلاً صالحاً كان على سفرٍ فمرَّ بغابةٍ كان يعيش فيها لصٌّ يسلبُ كلَّ مسافرٍ يمرُّ به، فعلى عادته أراد أن يسلب هذا الصالح أيضاً، فقال له الصالح: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾. ورزقكم موجودٌ في السماء، فتوكلوا على الله واتقوه واركبوا السرقة، فسيُلبِّي الله تعالى حاجاتكم بنفسه. فتأثر قلبُ اللصِّ، فترك الصالح، وعملَ بنصيحته، حتى صارَ يتلقَّى الأطعمة الفاخرة في أوانٍ من الذهب والفضة؛ فكان يأكلُ الطعامَ ويرمي الأواني خارجَ كوخه. وبعد مدة اتَّفَقَ أن مرَّ ذلك الصالحُ نفسه من هناك ذات يوم، فأخبره اللصُّ الذي أصبح الآن رجلاً صالحاً تقياً، بكلِّ أحواله، وسأله أن يخبره بآيةٍ أخرى. فقال له الصالح: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾. أي أقسمُ بربِّ السماوات والأرض أنه عندما تتحقَّق هذه الأمور سيُعلمُ أنَّ هذا القرآن حقٌّ كذلك. فلمَّا سمعَ هذه الكلمات الطاهرة تأثَّر تأثيراً عظيماً ذلك اللصُّ (الذي ترك السرقة الآن وأصبح مائلاً إلى الخير بل أخذ يعملُ صالحاً) لدرجة استقرَّت عظمةُ الله تعالى في قلبه، وازدادَ تقى، ثم أخذَه القلق والاضطرب عند سماع هذه الفكرة، ففاضت روحه وهو كذلك. فقد ازداد معرفة إلى هذه الدرجة الكبيرة.

فيا عزيزي، انظر إلى ما يُنال من النعم العظيمة بالتوكُّل على الله تعالى، وإلى الثروة التي تُكتسب بالالتزام بالتقوى، وتأمل هل يمكن أن يكونَ هناك شكٌّ في وجود ذلك الإله الذي يربِّي سكَّان الأرض والسماء؟ إنَّه الإله الطاهرُ الحقُّ الذي يربِّينا جميعاً ويرعانا. فاحشَ الله وحدَه، وتوكَّل عليه، والتزم بالصالحات".

يقول الناس عادةً إنَّ الأطفال الصغار لا يفهمون الأمور العميقة، لكنَّ المسيح الموعود عليه السلام روى هذه الحكاية لحضرة المصلح الموعود حضرة مرزا بشير الدين محمود أحمد وهو في التاسعة من عمره فقط. ولا شكَّ أنَّ المسيح الموعود عليه السلام قد رواها له بما يناسب ذكاءه، وكان يعلمُ أنَّ سيفهئها مع كونه طفلاً، لكن لعلَّه كان يضع في اعتباره أيضاً أنَّ أهمية التوكُّل يجب أن تُعرَّس في الأطفال منذ الصغر. فإن مبادئ التربية هذه دليلٌ لنا جميعاً.

يقول حضرة المصلح الموعود: كان المسيح الموعود عليه السلام يروي قصَّة رجلٍ صالحٍ كان يجلس في زاويةٍ ويلقي الوعظ والنصيحة، وكان الله تعالى يُوصِلُ إليه الرزق هناك. كان يعيش في مكان بعيد عن المدينة. ومَرَّت أَيْامٌ عدَّة في إحدى المرات دون أن يأتيه شيءٌ يأكله، ولعلَّها كانت امتحاناً من الله تعالى. فقال: ينبغي أن أذهب الآن إلى المدينة وأطلب شيئاً من أحد الأصدقاء، لأنه قد طالت الأيَّام وأنا جائع. فذهب وقال لصديق: أعطني شيئاً آكله. فأعطاه رغيفين أو ثلاثة ووضع عليها الإدام أيضاً. فلمَّا انطلق تبعه كلبُ ذلك الصديق. فكان يحرك ذيله ويسير خلفه. فظنَّ الصالح أنَّ للكلب حقاً في هذا الخبز لأنَّه يحرس ذلك البيت الذي أخذ منه الخبز. فوضع على رغيف ثلث الإدام فألقاه للكلب وقال: هذا حقُّ الكلب. فأكله الكلبُ ثم تبعه. ففكر الصالح أنَّ حقَّه أكثر لأنَّه حارس البيت، فألقى له رغيفاً آخر مع جزءٍ آخر من

الإدام، لكنّ الكلب أكله وواصل متابعته. ومن جانب آخر كان الصالح نفسه جائعاً جداً، فقال للكلب: أنتَ عديم الحياء جداً، فقد أعطيتُك رغيفين من الثلاثة، ومع ذلك لا تترُكني. فما إن قال ذلك حتى دخل في حالة الكشف ونسيَ أحوال الدنيا، فتمثّلت أمامه روح الكلب وقالت: أنتَ تقولُ لي بأنني عديم الحياء، مع أنّي كلبٌ وأنتَ إنسان. لقد أصابتني الفاقة في هذا البيت لسبعة أيّام ولم أترك هذا الباب، أمّا أنتَ فقد أصابتك الفاقة لثلاثة أيّام فتركتَ مكانك وجئتَ إلى المدينة. فأخبرني الآن: أنا عديم الحياء أم أنت؟ فلمّا سمعَ ذلك زالت عنه حالة الكشف، فألقى أمام الكلب الرغيفَ الثالثَ مع الإدام أيضاً. فلمّا عادَ إلى مكانه وجدَ رجلاً جالساً ومعه طعامٌ فاخِرٌ جداً فقال له: أين ذهبتَ؟ لقد كنتُ أنتظرُك هنا.

فمقام التوكّل هو أن لا ينظرَ الإنسانُ إلى أحدٍ سوى الله تعالى.

لكن التوكّل لا يعني أيضاً أن يمتنع الباحثون عن الله عن الأسباب، كلا فهو ﷻ لم يمنع عن الأسباب، ويمكن تأمين الوسائل. فمعاملة الله مع كل إنسان مختلفة عن غيره، فقد ابتلى ذلك الصالح السالك، بهذا الأسلوب، ومن الحق تماماً أيضاً أن الأسباب ينبغي أن تستخدم، فقد أمر الله ﷻ بذلك أيضاً، وقد تكلم عن ذلك سيدنا المسيح الموعود ﷺ في مواضع عدة.

يقول حضرة مفتي محمد صادق، إن سيدنا المسيح الموعود ﷺ كان يقول:

"أكثر الناس شركاً في رأيي صنّاع الكيمياء السحرية إذ يهيمون بحثاً عن الرزق ولا يستخدمون الأسباب التي خلقها ﷻ للحصول عليه بطرق مشروعة ولا يتوكلون. مع أن الله تعالى يقول: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ (الذاريات: ٢٣). نخبِر هؤلاء المهووسين (أي صنّاع الكيمياء السحرية هؤلاء المزعومين الذين يدّعون تحويل الأعشاب إلى الذهب والفضة) أسلوباً لصناعة الذهب والفضة، لكن بشرط أن يعملوا به. (أي أنكم عبثاً تركضون وراء الكيمياء السحرية ولا تجدون شيئاً، تعالوا أطلعكم على طريقة ناجحة بشرط أن تعملوا بها، وهي) أن الله تعالى يقول: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ (الطلاق: ٣ - ٤)، فالتقوى شيء إذا فاز به أحد فقد حصل على نعم الدنيا كلها. اعلّموا أن المتقي لا يكون محتاجاً إلى أحد بل يحتل مقاماً يهيئ الله له فيه كل ما يريده قبل أن يسأل.

لقد رأيت ذات مرة في الكشف على سبيل التمثّل أن الله وضع يده حول عنقي وقال: لو صرتَ لي لصار العالم كله لك. فهذه الوسيلة قد جرّبها الأنبياء والأولياء والصلحاء كلّهم. والجهلة من الناس يتركونها ويبحثون عن الأعشاب لصنع الذهب، ولو بذلوا الجهد بالقدر نفسه بحثاً عن خالقها (أي الله الذي خلق هذه الأعشاب) لوجدوا كل ما يريدون". (الملفوظات، مجلد ٩)

تحدث حضرة منشي أرورا خان ﷺ عن توكّل سيدنا المسيح الموعود ﷺ وذكر الحدث التالي قائلاً: سافر حضرته ﷺ إلى دلهي، وقبل انطلاقه أرسل رسائل إلى أصحابه الخواص وكتب فيها أن كل من استلم الرسالة فعليه الوصول إلى دلهي إذا استطاع، فهناك لنا مناظرة مع المولوي نذير حسين الدهلوي،

(إذ كان قد تقررّت المناظرة مع المولوي نذير حسين)، فوصلتُ إلى هناك أنا أيضا، وهناك تبين لنا أن المولوي نذير حسين يريد الفتنة. فتكلمنا مع أمير علي شاه الذي كان أغلب الظن مفتش الشرطة أو كان يشغل منصبا آخر، فقال سندبر الأمن والسلام جيدا، وسوف أرسل عددا معقولا من رجال الشرطة، فلا تقلقوا لن تحدث أي مشكلة. باختصار في اليوم المزمع للمناظرة قابل شودري نواب خان أمير علي شاه، وقال له الأخير أنا آسف لا أستطيع أن أدبر شيئا، إذ قد قال المولوي محمد حسين البطالوي لسمو نائب المفوض إن المشايخ كل يوم يعقدون المناظرات فيما بينهم فهل ستدبرون كل يوم الأمن، وترسلون أعدادا كبيرة لرجال الشرطة لهذه الأمور العادية؟ فقد قال لي نائب المفوض إذن لا داعي لتدبير السلام. لذا فأنا مضطر ولا أستطيع أن أفعل شيئا. خلال تبادل الحديث هكذا تأخرنا وقلت لنواب خان، قد حان الأوان ولننطلق إذ لن ينتظرنا حضرته، فلنصل إلى مكان المناظرة في الموعد، فوصلنا إلى هناك مستعجلين، فرأينا حضرته يركب القطار، فقلنا له لن تكون هناك الشرطة، (فكان هناك عدد من رجال الشرطة، إلا أنه لم تكن الشرطة كما كانوا يريدون) فقال حضرة المسيح الموعود عليه السلام: "إننا لا نبالي بذلك، وإن الله تعالى سيدبر لنا، فلنسافرْ ولا يسعنا التوقف، ويجب أن تصلوا إلى هناك". كان برفقة حضرته أحد عشر من الرجال وشاب، أي كانوا اثني عشر نفرا فقط. بينما المعارضون قد اجتمعوا هناك بالآلاف، وكان هناك خطر للفتنة، ومع ذلك لم يكن على وجه حضرته عليه السلام أدنى خوف أو وجل، فقد وصل إليهم بكل شجاعة، ولم تنجح مكيدة أي معارض بتاتا، وحفظ الله حضرته من شر كل شرير، وكان توكله التام على الله تعالى وحده.

يقول حضرة المصلح الموعود عليه السلام، من الواجب على المؤمن أن يتوكل على الله، فالله تعالى ينجز كل فعل، لكن من واجبنا أن نفعل ونفكر ونقول حصرا ما قد قاله الله تعالى. كان حضرة المسيح الموعود عليه السلام قد نشر نبوءة عن آتهم، وانتهى أجلها. وكنت يومذاك صغيرا قد بلغت من العمر ست سنين أو سبعا، وإنني أتذكر جيدا ذلك المشهد، (ثم كتب حضرته تفصيل الغرف وكيف كان ترتيب الجلوس وأي من الغرف استُخدمت لأي غرض ولاحقا لأي غرض استخدمت. باختصار قد كتب حضرة المصلح الموعود بعد سرد هذا التفصيل) أنا أتذكر جيدا أنني كنت صغير السن، يوم انتهى ميعاد النبوة عن آتهم، وكان ذلك في نهاية عام ١٨٩٤ أو بداية عام ١٨٩٥ وكان عمري خمس سنوات وستة أشهر أو ست سنين، وما زلت أتذكر ذلك المشهد، ولم أكن أستوعب ذلك يومذاك لأنني كنت صغير السن، لكني الآن أفهم من الوقائع أن في آخر أيام ميعاد النبوة عن آتهم، أي كانت خمسة عشر شهرا تنتهي، كانت هناك ضجة، وكان الناس يصيحون باكين، ويدعون: يا رب فليمت آتهم. وكان ذلك بعد العصر وقبل المغرب، ثم حان وقت الصلاة فصلى بنا سيدنا المسيح الموعود عليه السلام وبعد الصلاة جلس، وأنا في ذلك العمر لم أكن أحضر المجلس بانتظام، وأحيانا كنت أجلس، وجلست في ذلك اليوم أيضا، فالذين كانوا يدعون متضرعين أبدى

المسيح الموعود ﷺ العتاب على تصرفهم، وقال: "هل يمكن أن تكون عند إنسان غيره لكلام الله أكثر منه، فحين قال الله ﷻ إن هذا سيحدث، فعلينا أن نؤمن بأن ذلك سيحدث حتماً، وأنا أخطأنا في فهم كلام الله، (أي قد يكون لكلام الله معنى آخر لم نفهمه) فليس الله ﷻ ملزماً بأن يحكم بحسب فهمنا الخاطئ.

إنما واجبنا أننا ما دمنا قد صدقنا إنساناً في دعواه فعلينا أن نثق بما يقول. أي ما دمت قد آمنتم بي مسيحا موعوداً فثقوا بي وأيقنوا بما أقول لكم، أما متى وكيف ينجز الله هذه الأمور فهذا بيد الله تعالى". باختصار إن واجب المؤمن أن يتوكل على الله تعالى فإن كل ما يقول الله تعالى سيتحقق حتماً، أما كيف سيتحقق فالله أعلم بذلك.

يقول حضرة صاحبزاده المرزا بشير أحمد: أخبرني المنشي ظفر أحمد أنه في أثناء مناظرة آتھم طرح آتھم ذات يوم أسئلة جعلت بعض أحبابنا يصابون بالقلق ظناً منهم أن الرد عليها فوراً محال. فاجتمع بعضهم وتشاوروا وأرادوا مساعدة المسيح الموعود ﷺ بتقديم بعض المراجع من القرآن الشريف والإنجيل. فقلت للمولوي عبد الكريم مازحاً: هل النبوءات أيضاً تكون بالمشورة؟ (بمعنى أن المسيح الموعود ﷺ إذا كان بحاجة إلى المراجع فسوف يأمركم بها بنفسه، فما الداعي أن تبادروا بتقديمها له من تلقائكم) وفي هذه الأثناء جاء المسيح الموعود ﷺ.

وتحدث قليلاً، ثم لما همَّ بالانصراف قام المولوي عبد الكريم وقال: لا حرج لو تشاورنا معاً من أجل جواب الغد. (أي لا بأس لو تشاورتم في الرد الذي يقدم غداً وجمعتم بعض المراجع) فقال ﷺ ضاحكاً: «دعائكم كافٍ». ثم انصرف فوراً (أي عليك أن تدعو فقط وهذا يكفي).

وكتب المرزا بشير أحمد: إن الأنبياء يستشيرون في معظم الأمور، ولا أحد أكثر استشارة منهم، لكن هناك أوقات يفضلون فيها ترك الوسائط الأخرى والاعتماد على نصره الله وحده. كما أن للاستشارة وقتها ومحلها، وعندما يوجه العدو اعتراضاً علمياً يعتمد الأنبياء عادةً على نصره الله وحدها. وبالفعل قد أذل الله المسيحيين في هذا الموطن.

ويقول المصلح الموعود ﷺ: لقد ذكرت لكم مراراً أنه في الأيام التي انتقل فيها المسيح الموعود ﷺ من بيته إلى بستانه بسبب الإلهامات المندرة بوقوع الزلزال قال لأُم المؤمنين أثناء الحديث في البيت لم يبق عندي أي مال مطلقاً، وأفكر أن أقترض من بعض الأحاب. ثم قال بنفسه: "ولكن الاقتراض من الناس مناف للتوكل على الله تعالى". ثم ذهب ﷺ إلى المسجد، ولما رجع بعد الصلاة أخرج من جيبه كيساً وفتحه، ثم نظر فيه وقال - وكنت حينها واقفاً بالقرب منه -: "عندما خرجت للصلاة وضع رجل فقير ذو أسمال بالية هذا الكيس في جيبى ولما كان الكيس ثقيلاً فقد ظننت أن فيه قطعة نقدية معدنية، ولكني لما جئت إلى البيت وفتحته وجدت فيه أوراقاً نقدية." فعدها فكانت حوالي أربع أو خمس مئة روبية. ثم قال ﷺ:

"لو أنا اقترضنا من أحد كان ذلك خلاف التوكل على الله تعالى. فبمجرد أن مست بنا الحاجة هياً الله تعالى لنا المال بوسيلة لم تخطر ببالنا ولم تكن في حسابنا".

ويسرد حضرة المصلح الموعود عليه السلام واقعة أخرى ويقول: كان سيدنا المسيح الموعود عليه السلام يقول: "سأل رجل أحد الصالحين: ما حكم الزكاة. قال: للزكاة حكمان: واحد لك وواحد لي. أما أنت فالحكم أن تعطي روية واحدة من كل أربعين روية، وأما أنا فالحكم أن أعطي إحدى وأربعين روية على كل أربعين روية. قال: لماذا هذا الفرق؟ ولماذا تعطي كل المبلغ ورؤية إضافية أيضاً؟ قال: لأن الله تعالى أقامني في مقام التوكل، وأقامك في مقام التدبير، فإذا جمعت المال فالحكم لك أن تعطي روية من كل أربعين روية، أما أنا فلأني في مقام التوكل، فإذا اجتمع عندي أربعون روية فأعطي إحدى وأربعين روية، لأن الادّخار غير مسموح لي، وإذا ادّخرت فعليّ غرامة روية زائدة عن المال المدخر".

ويقول حضرة المرزا بشير أحمد عليه السلام: كان عليه السلام يثق ثقة كاملة بنصرة الإله الذي أرسله، بأن الغراس الذي غرسه بيده لن يضيعه أبداً. فيقول في بيت شعر فارسي:

"اے آنکہ سوئے من بدویدی بصد تبر از باغبانِ بترس کہ من شاخِ مثمرم

يَأْيُهَا الَّذِي تَجْرِي نَحْوِي حَامِلًا مِئَةً خِنْجَرٍ خَفِ الْبُسْتَانِي السَّمَائِي فَإِنِّي عُصْنٌ مُثْمَرٌ،
أي إني غراسٌ مثمرٌ غرسَهُ الله بِيَدِهِ".

فمن واجب شباب الجماعة الأحمدية وأمراء مختلف فروع الجماعة والمسؤولين في تنظيمات أنصار الله وخدام الأحمدية، وفوق ذلك من واجب دعاة الجماعة ومربيها والعاملين في المركز، أن يأخذوا درساً من الصبر والاستقامة والعزم والتوكل غير العادي الذي تحلى به المسيح الموعود عليه السلام، فإنهم إن عملوا بالصبر والثبات وصاروا عباد الله، وجعلوا أنفسهم أشجاراً مثمرة، فإن الله تعالى سيحفظهم كذلك ويُري غيرته من أجلهم أيضاً، كما فعل دائماً مع عباده الأتقياء.

لقد تحدث حضرة المولوي عبد الكريم السيالكوتي في كتابه "سيرة المسيح الموعود" عن التوكل غير العادي للمسيح الموعود عليه السلام وشفقته بحضرة المولوي نور الدين الخليفة الأول، فقال: في الأيام التي كان سيدنا المسيح الموعود عليه السلام يكتب فيها الجزء العربي من كتابه «مرآة كمالات الإسلام»، اتفق ذات يوم أنه أعطى المولوي نور الدين (الخليفة الأول) ورقتين كبيرتين من مسودة الكتاب ليوصلهما إليّ لأترجمهما إلى الفارسية. وكان مضمون الورقتين ذروة في الفصاحة والبلاغة الموهوبة له من عند الله تعالى، حتى كان عليه السلام يفخر بأن الله تعالى قد ألهمه مضمونا عظيما. لكن الورقتين سقطتا في مكان وفقدتهما المولوي نور الدين. وكان المسيح الموعود عليه السلام يرسل إليّ كل يوم المسودة العربية الجديدة من أجل الترجمة الفارسية، فلما تأخر الأمر في ذلك اليوم أكثر من المعتاد، ساورني القلق طبعاً، فذكرتُ ذلك للمولوي نور الدين وقلتُ: لم يصلني اليوم

المضمون من المسيح الموعود عليه السلام، والناسخ واقف على رأسه ينتظر، لقد تأخر موعد وصول المضمون ، ولا أدري ما السبب؟

يقول المولوي عبد الكريم رحمته الله: فما إن خرجت هذه الكلمات من فمي حتى تغير لون المولوي نور الدين. لأن الورقتين كانتا قد سقطتا منه في مكان ما. بحث كثيراً فلم يجد المقال، وكان المولوي في غاية الاضطراب. فلما علم حضرة المسيح الموعود عليه السلام بالأمر، خرج كعادته بشوشاً مبتسماً، ولم يظهر غضباً أو قلقاً، بل اعتذر من جانبه قائلاً: "إن المولوي المحترم قد أصابه قلقٌ بلا داعٍ بسبب ضياع المسودة، وإنني آسفٌ جداً لما لحقه من عناء. أما أنا فإيماني أن الله تعالى بفضلِه سيوفّقني لكتابة مقالٍ أفضل من الورقة الضائعة".

يقول رحمته الله: إن هذه الحادثة اللطيفة تُلقِي ضوءاً خاصاً، من جهة، على ما كان عليه حضرة المسيح الموعود من عاطفة لطف استثنائي، ومن جهة أخرى على توكله غير العادي على نصرة سيده السماوي. فقد وقع الخطأ من المولوي نور الدين، إذ لم يحفظ مسودةً ثمينة حفظاً كافياً فأضاعها، ومع ذلك فمن مقام عطف المسيح الموعود عليه السلام أن يضطرب هو ويعتذر قائلاً إن المولوي المحترم قد تألم كثيراً لضياع المسودة. ثم مقام التوكل أنه رغم فخره بفصاحة ذلك المضمون وبلاغته ومحاسنه المعنوية، يقول بروح الاستغناء عند ضياعه: "لا داعي للقلق، فالله سيمنحنا مقالاً أفضل منه". وهذا العطف وهذا التوكل وهذا الحلم لا يمكن أن يوجد في غير عباد الله الخواص.

قال المسيح الموعود عليه السلام: "يقول الله تعالى عن الصحابة مخاطباً النبي صلى الله عليه وسلم ﴿هُوَ الَّذِي أُيِّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ * وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (الأنفال: ٦٣ - ٦٤)

فالله الذي أنجز ذلك من قبلُ قادرٌ أن يفعلهُ الآن أيضاً. وعليه التُّكلان في المستقبل أيضاً. ما كان حدوثه مقدراً تُنفخ فيه روحُ فضل الله تعالى. كما أن البستاني عندما يسقي بستانه يصبح خضراً نظراً كذلك يهب الله تعالى جماعة مرسلية أيضاً تقدماً ونصرة. أما الفرق التي تتكوّن بتخطيط الناس فقط فتتطرق إليها الفرقة سريعاً - كما أحرزت طائفة البراهمو تقدماً لفترة وجيزة ثم توقفت، والآن لا تزال تنقرض يوماً إثر يوم - لأنها تكون مؤسسة على أفكار البشر فقط. لقد أعطى الله تعالى جماعتنا وعوداً كبيرة. لا يمكن لعقل البشر أو فكره ولا لأسباب دنيوية أن تحقق تلك الوعود بحقنا، بل الله يهيئ الأسباب كلها من عنده ثم ستبلغ الأمور كلها حسنَ العاقبة. فمثلاً إذا توقف عدد الجماعة عند بلوغه مليونين أو مليونين ونصف مليون فما الضير في ذلك؟ لا ضير في ذلك. إن عدد الشيخ أيضاً يقارب ذلك، ولكننا نريد أن يمتلئ العالم كله بهذه الجماعة، وهذا ليس بوسع الإنسان إذ يمكن أن توافيه المنية في أية لحظة، فماذا يستطيع أن ينجزه؟ ولكن الله على كل شيء قدير". (الملفوظات، ج ٧)

حتى لو بلغ العدد هذا المبلغ، فليس في الأعداد ما يدعو إلى الفخر. والحقيقة أن علينا أن نبَلِّغ

العالم الرسالة، وأن تأتي بالدنيا كلها تحت راية النبي ﷺ، وهذا لا يمكن أن يتحقق بالجهود البشرية على أي حال، وإنما سيتحقق بفضل الله وحده، وفصل الله إنما يُنال بالإيمان الكامل به.

يروى المنشي ظفر أحمد ﷺ أن المولوي عبد القادر المرحوم سأل ذات مرة: يا سيدي، إنك تحدد لإظهار آية مدةً معيّنة، فتقول إن هذه الآية ستظهر خلال كذا من الزمن، تارةً سنة وتارةً ستة أشهر. أتفعل ذلك بناءً على إلهام إلهي، أم أنك مأذون في أن تحدد من المدة ما شئت؟ فقال ﷺ: "لا، بل لي بالله تعالى يقين وثقة كاملة، فأنا بالدعاء أستظهر منه ﷺ تلك الآية ضمن المدة المحددة". هذا هو التوكل، وهذه هي الثقة.

عندما مرض ميان عبد الله السنوري ﷺ، كتب إليه المسيح الموعود ﷺ هذه الرسالة، وفيها نصحه بالتوكل إلى جانب الدعاء والدواء، فكتب:

"وصلتني رسالتك المؤلمة جدًا. والحق أن هذا القدر من الحزن والصدمة، الذي يحيط بقلبك من كل جانب، هو امتحانٌ عظيم من الله تعالى. أدعو الله أن تخرج من هذا الامتحان صادقًا. وقد دعوتُ الله كثيرًا قبل أن أكتب هذه الرسالة، فإن لم يكن القدر قدرًا مبرمًا لا يُردّ، فأرجو أن يُستجاب الدعاء. لم تُخبرني إلى الآن ما هو المرض. (سأل حضرته عن تفصيل المرض) هل عندك إسهال؟ وهل هزل البدن وضعف؟ وما درجة الحمى؟ ومنذ كم يوم تدوم الحمى؟". ثم قال ﷺ: "أرسل وصفةً مع هذه الرسالة، فابدأ بتناولها دون تأخير... ولا تفقد الأمل، فالله قادرٌ على كل شيء".

ثم كتب ﷺ: "قبل شهرين أو ثلاثة قد توفي ابني مبارك أحمد بسبب الحمى وهو كان عزيزًا للغاية على والدته، وقبيل وفاته قلتُ لها (أي لوالدة الطفل) قد أوشك هذا الولد أن يموت وإنما نؤمن أن المميت أحب إلينا من الميت، وإنما يقتضي الإيمان الكامل أن نقول فقط: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، أي كان أمانة الله فأخذها، فهذا ما قالت عند وفاة ابنها، من البدهي أن موت شخص ليس شيئًا غير مألوف، لن نبقى نحن أيضًا في هذه الدنيا للأبد، وإنما ينال المراتب عند الله تعالى من يواجهون المراتبة في هذه الحياة الدنيا، والله تعالى إذا رضي عوّض. فلا ينبغي أبدًا اتخاذ طريق العامة، (أي لا تتخذ الطريق الذي اتخذته الناس. واصبر وادعُ الله تعالى، فيُنعم عليك بدل ذلك بإنعاماته.) فالذي يحبه الله تعالى يبتليه بمصيبة، فعليك أن تتوكل على الله تعالى بكل ثبات ولا تيأس منه ﷺ وأن تظل تُطلعي على حالك. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته".

جاء في كتاب "ذكر الحبيب" أن المسيح الموعود ﷺ قال لمفتي محمد صادق حين قرأ عليه رسالةً من المستر ويب، واسمه الكامل ألكسندر رسل ويب: "اكتب إليه أن العمر قد مضى، فما أردت أن تفعله فافعله الآن. إن القوى تضعف يومًا بعد يوم، فأين القوى التي كانت قبل عشر سنين؟ ما مضى لا حساب له، وما يأتي لا اعتبار له، فينبغي للإنسان أن يغتنم الوقت الحاضر في كل ما يريد أن يعمل". وكان رجلًا

إنجليزياً كتب إليه رسالة يقول فيها: "اخدم الإسلام الآن. أولاً اكتسب معرفةً بحقيقة الإسلام، وتعلّم الإسلام، ثم اخدمه. فالذي يخدم الإسلام بالزهد والقناعة يصير معجزةً وآيةً. أما من يخدمه مع توافر الوسائل، فلا يجد تلك اللذة، لأن لذة التوكل على الله لا تبقى كاملة. وإذا أُنجز العمل بالتوكل على الله، أعان الله عليه. وهذه الأمور تنشأ من الروحانية؛ فإذا نشأت الروحانية في الإنسان غيّرت هيئته. وكيف غيّر النبي ﷺ هيئة الصحابة؟ لقد تحقق ذلك كله بتلك الجاذبية التي تكون في الإنسان الصادق. ومن الأوهام الباطلة أن يظن المرء أن العمل لا يسير إلا إذا توفرت مئات الآلاف من الروبيات. فإذا بدأ الإنسان عملاً متوكلاً على الله، وكانت غايته الحقيقية خدمة الدين، صار الله نفسه معيناً له، وهياً له جميع الوسائل والأسباب. لذلك لا تقلقوا من قلة المال أو غيرها من الصعوبات؛ توكّلوا على الله، واعملوا، وادخلوا الإسلام بما تستطيعون".

ويقول المسيح الموعود عليه السلام: "في الحقيقة، التوكل هو الذي يجعل الإنسان ناجحاً موفّقاً. يقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾. هذا بشرط أن يكون توكله صادقاً نابعاً من القلب، وأن يفهم معناه الحقيقي، ويخطو بصدق، ويتحلّى بالصبر والثبات، ولا يتراجع خوفاً من الصعوبات. إن الدنيا زائلة وجديرة بأن تُترك، وأعمالها كذلك. فعلى الإنسان أن يقلل همّ الدنيا، ويزيد اهتمامه بالآخرة. وإذا غلب عليه همّ الدين، تكفّل الله بنفسه بأمور دنياه".

نسأل الله تعالى أن يوفّقنا لفهم هذه الحقيقة. ويقول عليه السلام:

"يؤسف أن حوادث عظيمة تقع كل يوم، والناس لا ينتبهون ولا يباليون. حتى كفار زمن موسى عليه السلام كانوا خيراً من هؤلاء من هذه الناحية؛ إذ كانوا إذا نزل بهم العذاب انتبهوا، وقالوا: إن رُفِع عنا آمنّا. أما كفار هذا الزمان فأشدّ قسوةً منهم؛ تنزل عليهم عذابات متجددة، ويحلّ بهم قهر الله في صور جديدة، ومع ذلك لا يحركون ساكناً. انظروا كيف شنّ الطاعون وحده هجمات خطيرة، وكيف وقعت بسببه مآسٍ مفرجة يقشعر البدن لمجرد سماعها، لكن ذلك لم يؤثر فيهم. كان أولئك يطلبون من موسى عليه السلام أن يدعو لهم في مثل هذه الأوقات، أما هؤلاء فيقولون: لا شيء في الأمر، إنها أمور عادية تحدث، ومثل هذه العذابات تأتي من حين إلى آخر. وقد وعد الله منذ القدم أن أنواعاً من العذاب ستأتي في آخر الزمان، فيهتدي بعض الناس ويهلك أكثرهم. فالعذابات تأتي، وليس لازماً أن يهتدي الناس جميعاً بسببها؛ بل كان الوعد أن يهتدي بعضهم ويهلك أكثرهم. يُظهر الله الآيات، لكن الذين ينتفعون بها هم المؤمنون، وهم قليلون".

نسأل الله تعالى أن يرزق المنهمكين في الدنيا العقل ليرجعوا إليه، ويصلحوا دنياهم وآخرتهم. ونسأله أن يزيدنا، نحن الذين آمنّا بالمسيح الموعود عليه السلام، إيماناً و يقيناً، وأن يوفّقنا، مع الدعاء، لبلوغ أرفع مراتب التوكل عليه، وللإزدياد فيه. آمين.